محاضرة رقم2

كارنب رودولف (1891- 1970)

تعتبر التطورات التي حدثت على المستويات العلمية والفلسفية واللغوية من أهم الملامح التي ميزت المشهد الثقافي المعاصر، وبروز مختلف التيارات الفلسفية والتحليلية والوضعية مؤشرا قوياً على وجود رغبة طموحة في تغيير وجهة التفكير الفلسفي وطرق التعامل مع المسائل الفكرية والميتافيزيقية، واتساع دائرة الخلافات الفلسفية التي اعتقد "كارناب" أنها تعود في الغالب إلى العجز عن تقديم صورة دقيقة عن التحليل المنطقي للتصورات المستخدمة، لذلك ازداد اهتمامه بمشاكل المنطق واللغة وأساس الرياضيات، فإذا كان "كارناب" يدعو إلى احتضان اللغة والنظرة العلمية حول المضمون المعرفي، فماطبية النقد الذي وجهه للميتافيزيقا؟

يعتبر "كارناب" من أبرز الوجوه التي أسهمت في توسيع التوجه الفكري للفلسفة الوضعية التي أصبحت مع مرور الزمن تتخذ الميتافيزيقا أساساً لنقد موضوعاتها والعمل على ايضاح المحتوى المعرفي للمنطوقات العلمية"[1]، ومن ثم تحديد الدلالة على هذه الألفاظ الماثلة في المنطوقات بواسطة عملية التحليل المنطقي، وهذه النزعة المنطقية بطبيعة الحال يصعب جدا ادراجها بين النزاعات المذهبية بالمعنى الدقيق، لأنها تأسست على رفض الميتافيزيقا، مع العلم أن الميتافيزيقا تشكل الدعامة الأساسية للفلسفة.

لذلك كان أسلوب تحليل اللغة، يمثل العنصر القاعدي الذي تقوم عليه الوضعية المنطقية، سواء تعلق الأمر بمسائل اللغة الطبيعية والعادية واللغة العلمية والفلسفية، لذلك اعتقدوا أن الخلافات القائمة بين الآراء والمذاهب الفلسفية، تعود إلى سوء تحليل التصورات الفلسفية، وأن المشكلات الفلسفية في واقع الأمر حصلت نتيجة اشتراك قائم في معاني الاصطلاحات الفلسفية.

[1] R. Carnap , le dépassement de la métaphysique par l’analyse logique du langage, Ed, PUF ? 1985 , p.153

في هذا السياق الفكري، لم يخف "كارناب" في اعتبار أن المشكلات الميتافيزيقية بعامة والمشكلة الواقعية والمثالية بخاصة، ينبغي اعتبارها مشاكل وهمية فيها كثير من الزيف والغموض، على ضوء أن العبارات التي تحتوي على المعنى، هي العبارات التي تكون لها قابلية التحقق أي وجود امكانية العثور على معنى العبارة متحققا في التجربة المباشرة أو غير المباشرة، وإن تعذر الكشف عنها أو إمكان تحققها في التجربة، ففي هذا الحال يجب ادراجها ضمن العبارات الزائفة التي تخلو من المعنى، وعلى هذا الأساس كانت المشكلات التي تدرس في ميادين الأخلاق والميتافيزيقا وعلم الجمال، ليس لها من أجوبة دقيقة، لأن العبارت التي ترد فيها تخلو من المعنى، وساق شواهد على ذلك عبارات قالها "هيدجر" في محاضراته: ما الميتافيزيقا"؟ ومن بينها عبارة مشهورة وردت في هذه المحاضرة نصها: " أن العدم نفسه يعدم" ويعلق عليها "كارناب" قائلا : هذه العبارة تحتوي على خطأ مزدوج: إذ تحتوي على لفظ لا معنى له وهو يُعدم" وعلى خطأ في نظم العبارة مجتمعة هو استخدام اللفظ "العدم" على أنه اسم، بدلاً من أن يكون تعبيرا عن نفي مكمم وجودي مثل " لا شيء هو ع"[1].

بناء على التوجه، كان اعتقاد "كارناب" يسير في الاتجاه الذي يؤمن بأن القضايا الميتافيزيقية، هي قضايا عديمة المعنى، ومنه كانت المشكلات التي تطرح في ميدان الفلسفة تخرج عن اطار الوضع التجريبي، ولهذا وجب صرف الفلسفة إلى القيام بمهمة توضيح المنطوقات العلمية، وهذا ما يفضي إلى بروز نتيجتين: احداهما موجبة والأخرى سالبة، الموجبة التي يظفر بها في ميدان العلوم الطبيعية، أما السالبة، فهي التي تنجر عن التحليل المنطقيي لما يقال في ميدان الميتافيزيقا، ويظهر من خلال هذا، أن المنطوقات المزعومة في هذا الميدان، هي خالية المعنى تماماً، وأن ما يحدد دلالة اللفظ، هو علم قواعد اللفظ .

وفي هذا الشأن عمل "كارناب" على الاعلاء من مكانة المنطوقات العلمية إلى رتبة نموذج لبناء المنطوقات الفلسفية، حيث تكون مشروعية الحكم على أي لفظ فلسفي لا يمكن رده إلى

[1] عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج2 ص 250

منطوقات ملاحظة، حيث يصعب خلاله تحديد المعطى، وبأنه خال من المعنى، ومنه تظهر اشكالية متعلقة بدلالة مصطلح المعطى، خصوصاً وأن "كارناب" يؤكد في ذات السياق أنه لا يوجد اتفاق محدد على معنى المعطى.

وبهذا الاعتبار تبين أن "كارناب" جعل مهام الفلسفة القيام بالتحليلات المنطقية للعبارات اللغوية والتسليم بفكرة أن جميع المشكلات الفلسفية بمعناها الحقيقي، إن هي في واقع الأمر، سوى تحليلات لتركيبات لغوية، ولما كانت التركيبات اللغوية التي تقوم الفلسفة بتحليلها ، هي في الغالب ما تؤكد عليه العلوم المختلفة من قضايا ، أمكن من أن نقول أنها منطق العلوم، أي أنها تسهم في تحليل القضايا العلمية، تحليلاً يظهر بجلاء طريقة تركيبها وصورة بنائها حتى يتضح معناها، ومن هنا تتجلى الفلسفة في وظيفتها المتمثلة في خدمة العلوم بتوضيح قضاياها، على ضوء أنه إذا كان عمل العلوم يتوقف على وصف الأشياء الطبيعية على مدى اختلافها، فإن عمل الفلسفة، هو البحث في منطق تلك الأقوال العلمية لإظهار غموضها.

لقد كانت لهذا التيار الوضعي، إرادة طموحة ورغبة قوية في التنقيب عن العمق المعرفي الذي اتجه نحو زحزحة القضايا الفلسفية عن مكانتها وإخراجها من مستنقعها الميتافيزيقي، وإدراجها ضمن الاهتمامات العلمية والابستيمولوجية الداعية إلى التحرر المبكر من المشكلات التي تمسك بها الميتافيزيقيون سابقاً، " حتى أنساق الميتافيزيقيين كانت تتضمن أحياناً العلم، وأحياناً أخرى الشعر، لكنها لا تتضمن أبداً الميتافيزيقا "[1].

لقد كانت الأنساق الميتافيزيقية منهمكة في مشروع فلسفي مترامي الأطراف، كالخوض في قضايا العدم والبحث عن العلة الأولى للعالم؛ وهذه المشكلات برغم حجمها الفلسفي، هي في الواقع خالية من أي محتوى علمي أو معرفي، كما " أن المشاكل النحوية تأخذ معنى كبيراً

[1]-Moritz Schlick : Le vécu, la connaissance, le métaphysique, in Antonia Soulez, Ed, Manifestes du cercle de vienne, PUF , Paris 1985, p.197.

بالنسبة للمنحى المضاد للميتافيزيقا المتمثلة " بدائرة فينا "[*]. واستناداً لهذا المنظور، فإن العبارات الميتافيزيقية هي شبه – عبارات، وهي إذا خضعت إلى التحليل المنطقي تظهر على أنها فارغة، أو أنها خرقت قواعد النحو. وإن ما يُدعى بالأسئلة الفلسفية، هي الأسئلة التي لها معنى يتعلق بمنطق العلم. ولتأكيد هذه النظرة، يجب إقصاء الفلسفة وإحلال المنطق النحوي مكانها "[2].

وبهذا يصل "كارناب" إلى التأكيد بأن القضايا الميتافيزيقية عديمة المعنى، وأن الخلافات القائمة على المستويات الفلسفية، قد طرحت قضايا وهمية، لهذا اعتبر العلم ليس هو النشاط الروحي الوحيد الذي يقوم به الانسان، فهناك نشاطات أخرى مثل الفن والدين، لهذا كانت المذاهب الميتافيزيقية في مواقفها قدمت صورا مختلطة غامضة مستمدة من الميادين الثلاثة: الميتافيزيقا، الفن،الدين، ومن آخر فإن تحليل اللغة، سيقود إلى معرفة تحليل العقل أو طريقة التفكير البشري ذاته، وهو السبيل إلى تحقيق الانتقال النوعي من الميتافيزيقا إلى الفلسفة العلمية واعتماد لغة العلم في فهم العالم .

---

[*] – "دائرة فيينا "Cercle de Vienne تطلق على مجموعة من الفلاسفة الذين تجمعوا حول "موريس شليك "، وحين تكونت هذه الحلقة عرفت في الأوساط المعرفية باسم جماعة فينا أو حلقة فينا، كما أطلقت على الفلسفة التي تتبناها هذه الحلقة عدة تسميات منها المذهب التجريبي أو التجريبية المنطقية أو الوضعية المنطقية، وهذه التسمية الأخيرة هي التي أطلقها " هربرت فايكل " (1902-1988) عام 1931 ليشير إلى ما قدمته حلقة فينا من أفكار فلسفية، وهذه التسمية الأخيرة هي التي لقيت رواجاً أكثر من غيرها.

[2] – سامي أدهم: إبستمولوجيا المعنى والوجود نقد النظرية التطورية، مركز الإنماء القومي،بيروت– لبنان (د.ط) (د.ت)، ص 8.